

على الإسلام محل شهادة وتقدير ، وقد أصاب في وقف هذا الكتاب فور معرفته به وذلك لتهجمه على الإسلام وعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفوق ذلك وقبل كل شيء لقلته جدواه العلمية ، وضعف مصادره ، واهتزاز معايير مؤلفه بل لعنصريته وتعسفه ضد نبي الإسلام والحضارة الإسلامية بشكل عام .

وفي أخبار الأدب (عدد ٤ من ربيع الأول ١٤١٩هـ - ٢٨ من يونيو ١٩٩٨ م . ص ٢٦) نشر عبد الحميد صالح حمدان مقالاً حول رودينسون وكتابه قدم له نبذة مختصرة في تاريخ الاستشراق والنزعة التعصبية التي كانت تحكمه منذ بداية تكوينه ، ثم قال : «وقد أردت بهذه المقدمة أن أبين أن ما جاء في كتاب «محمد» (صلى الله عليه وسلم) لمكسيم رودينسون ما هو إلا قطرة في المحيط الاستشراقي ! فهذا المهاجر اليهودي الروسي : بدأ اهتمامه بالعالم العربي والإسلامي منذ صغره ، وتحديدًا في الثلاثينيات من هذا القرن». وأشار الكاتب إلى اهتمام رودينسون بالتاريخ الإسلامي والعربي ، وذكر أنه تلمذ على يد المستشرق الفرنسي جودفروادي مويين (١٩٥٧) الذي كتب السيرة النبوية بموضوعية وامتياز ، وهو أستاذ الدكتور زكي مبارك وبعد أن ذكر الكاتب معالم حياة رودينسون يقول تحت عنوان طبيعة التكوين : «ورودينسون في الواقع شخصية غريبة الأطوار من تلك الشخصيات التي لا تهدأ ولا تستقر على حال . فهو بطبيعة تكوينه وتفكيره يعالي في (تأثير) الأيدولوجيات ويطبّقها على كل دراساته وأبحاثه . وهو كما يقول قد انبهر بالإسماعيلية كنموذج للأهمية الحديثة، وتأثر - بشكل كبير - بالبيئة الفرنسية التي نشأ فيها ، وبما حدث في أوروبا من تحول الكنيسة الكاثوليكية عن موقفها الخاص بتحريم تناول المقدسات . وكان أمله أن يحدث الأمر نفسه في العالم الإسلامي ! وقد شرح رودينسون وجهة نظره هذه في مؤلفاته ، بل وألقى محاضرة في القاهرة حول الماركسية وتاريخ الإسلام ، صاغ فيها لأول مرة مفهوم المسلم الاجتماعي و«العلمنة في الإسلام» ، فهو أول من رأى أن هذه العلمنة قد ظهرت في العالم الإسلامي بفضل الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي عرف كيف يجند الناس من أجل توحيد الأمة العربية وإنشاء نظام اجتماعي مثالي يتجنب مزالق الاشتراكية والشيوعية.

وهو يرى أن الدين الإسلامي في وعي المسلمين لا يمكن أن يقتصر على ذكر الجنة والنار، بل الأهم هو التعبئة حول عظمة أمة الإسلام ، ونظام الإسلام الاجتماعي . وقد لفت هذا التطور نظره، كما لفت نظره كذلك خوف الغربيين من الكلام عن الإسلام